الصمود والتحدى فى مواجهة سحابة اللا يقين

د. م. نادر رياض

مر عام ٢٠٢٠ بما لا يمكن أن يوصف بأنه كان مرور الكرام،وهنا يعن لى أن أستلهم من كلمات المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل رؤيتها الثاقبة التى عبرت عنها بكلمات قليلة قبل أن تودع رئاستها للحزب الألماني(CDU)الذى رفعت من شأنه وجعلته الحزب رقم واحد فى ألمانيا متفوقاً على خصمه اللدود حزب (SPD).

إذ قالت فيما قالت: إن العالم يمر بأزمة طاحنة غير مسبوقة والتى ستترك أثرها لما بعد ذلك كندبة دائمة باقية دوما على المستوى الصحى والاقتصادى والاجتماعى والسياسي. انتهى كلام أنجيلا ميركل.. لأضيف من عندى مصدقا على كلامها أن الحقبة القادمة والتى ستشهد صراعا بين كتلتين اقتصاديتين تنازعان استقطاب العالم تاركتين بذلك الفرصة لكتلة ثالثة تقل عنهما حجما للتنامى والتى ستحل محل العديد من التكتلات والتحالفات التى ظلت قائمة منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن والتى تكونت بفعلها ونتيجة لها.

من الثابت أنه سيظهر التكتل العملاق الصينى مستقطبا كل من يدور فى فلكه من دول جنوب شرق آسيا مادا ذراعيه غربا فى اتجاه أوروبا مقابلا فى ذلك التكتل الأمريكى الانجلوساكسونى البريطانى مستقطبا فى فلكه دول أمريكا اللاتينية والآخذ فى الامتداد شرقا فى اتجاه أوروبا سعيا للوصول للهند.

هذا الصراع بل قل الصدام المرتقب بين الكتلتين العظميين وما سوف ينجم عن ذلك الاحتكاك من إطلاق شرر ينذر بحروب عظمى أو فى أقل تقدير عمليات عسكرية محدودة تهدف ليس فقط الى استعراض القوة بل الصراع على مناطق نفوذ يرجى الاحتفاظ بها أو ضم مناطق نفوذ جديدة إليها .من المنتظر أن يبرز فى الأفق تكون كتلة ثالثة آخذة فى التنامى تضم بعض الدول التى ستفلت من إحكام السيطرة والتبعية لأى من الكتلتين العظميين والتى ستضم دولا من جنوب شرق آسيا مثل كوريا واليابان وهونج كونج واستراليا لتلحق بتكتل هندى تأثرا بمبدأ دول عدم الانحياز الذى أرسى مبادئه الزعيم الخالد غاندي، وتظل روسيا كلاعب رئيسى يدير سياساته من خلال نفوذه دون أن يظهر ما يبطن. كل هذا كان دخولاً فى سحابة اللايقين والتشكك فى كل الاتجاهات بفعل ما سمى فى مرحلته الأولى - «كوفيد - ١٩» ليحدث ما أحدثه من آثار آخذة فى التنامى لتلقى ظلالها بما من شأنه أن يمهد ويرسى قواعد جديدة سوف تستجد على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بفعل فرض التباعد الاجتماعى الذى أرسيت قواعده المستقرة والتى لن نملك منها فكاكا لسنوات طويلة ويعلم الله متى سيعود الرشد للتكتلات الكبرى بعد أن أدخلت فى معادلة الصراع حرب الميكروبات والفيروسات لتحدث ما أحدثته من آثار كارثية .والأمل معقود فى الحفاظ على البقية الباقية من الرشد قبل أن ينفلت الزمام وتمتد كوارثه لتقضى على الأخضر واليابس وقبل ذلك فناء البشرية ذاتها لتبدأ نظرية داروين من جديد لتنادى بأن أصل الحياة سيكون الأميبا وحيدة الخلية ثم الأسماك والطيور وبعد ذلك أجناس القردة ورفاقهما من باقى الحيوانات والإنسان الأول إلى أن تنقذهم سفينة نوح لتعود الحياة بعد ذلك بدءاً على ذى بدء.

أما نحن فى مصر فنحتاج أشد ما نحتاج فى هذه المرحلة إلى أن نعبر من بوابة الصمود والتحدى فى مواجهة جائحة كورونا فى فصليها الأول والثاني،وكذا قبول تحدى ما يليها من مخاطر حتى نعبر بذلك الصعب ونحافظ بقدر ما نستطيع على معدلات نمونا الاقتصادى والتركيز على إحلال الواردات وكذا دعم صناعتنا الوطنية وتعظيم دورها فى بناء قدرتها التنافسية وحمايتها من المنافسة غير المشروعة،وترابط حياتنا الاجتماعية وهى أثمن ما نملك فى هذه المرحلة،والاستعداد للثورة الصناعية الرابعة والتى قوامها الثورة الرقمية والنانو تكنولوجى، محافظين بذلك على خط الحياد الايجابى دون الانحياز لأى قطب،وليكن نصب أعيننا أن نقتحم خط الفقر ليخرج المصريون جميعا إلى مجتمع الكفاية والعدل مستشرفين بذلك آفاق المستقبل والإرادة الحرة فى اختيار ما يعن لنا من خيارات وتوازنات فى علاقاتنا الدولية من واقع الحفاظ على السلام والأمن الدوليين فى عالم كثرت فيه الصراعات،محافظين بذلك على مكانتنا تحت الشمس كاملة دون نقصان.

وعلينا نحن المصريين ألا يغيب عنا ونحن فى مرحلة بزوغ شمس جديدة لمصر المستقبل،وهى حقبة ستستعيد فيها مصر كل أمجادها وعناصر قوتها لتصبح مرة أخرى محط أنظار الشرق والغرب بعد استكمال عناصر قوتها الاقتصادية محققة لشعبها طموحاته فى التنمية البشرية المستدامة مستغلة بذلك ميزتها الكبرى أنها دولة شابة نسبة الشباب فيها تحسدها عليها وتتمناها لنفسها القارة الأوروبية العجوز والكثير من دول الشرق والغرب. فلنعبر معاً متضامنين مع وطننا مصر سحابة اللايقين وصولاً بمصرنا لبر الأمان حيث النهضة الشاملة وآفاق المستقبل المشرق.

كل هذا مع الحرص كل الحرص على عدم جرنا لصراعات عسكرية تورط الدولة المصرية وتدمر اقتصادياتها المتنامية ولنا فى مؤامرة تدمير القوة العسكرية للعراق كل العظة، ونحن على ثقة من أن القوة العسكرية المصرية وقد استكملت كل عناصر قوتها وأصبحت مرهوبة الجانب أنها كانت وستظل قوة للردع والحماية وليست قوة للتهديد والعدوان، فنحن دولة تشييد وبناء وعمران ولن نكون أبدا دولة هدم ودمار للآخرين أيا كان موقعهم. كل عام ومصرنا وأنتم جميعا بخير ... ومرحبا بالتحدى والصمود.

■ رئيس مجلس الأعمال المصرى الألمانى